اقدم فان العيش ويحك مأزم والمستبد بطيبه من اقدما
ولربما لقي الجريء حمامه ونجا الذي كره الحياة فاحجما
لا تلق عادية الخطوب بذلة وتخشع وارم الزمان بما رمى
انهاك ان يلقاك طوع صروفه او ان يراك لجوره مستسلما
اعدد لهول الخطب ان هو اقدما عزماً كمثل السيف هز فصما

احمد محرم

المرأة في الصين

اشرنا في صدر هذا الجزء الى الحالات الكثيرة التي تمتاز بها المرأة عن الرجل سواء من جهة الطبيعة والحقوق ولكن تلك الامتيازات انما تمتاز بها المرأة الاوربية والاميركية وبعض نساء الشرق في البلاد ذات الشرائع العادلة واما المرأة الشرقية بعمومها فانها تعتبر خالية من كل امتياز واختصاص كما نشاهد ذلك في نساء بعض بلادنا . ولما كنا قد نقلنا للقراء حالة المرأة في اكثر الممالك الشرقية فقد رأينا ان ننقل لهم شيئاً عن حال المرأة الصينية واعتبارها في تلك البلاد العريقة في المدنية والصناعة والعلم

فقد ذكروا ان المرأة الصينية معدودة في كل دور من ادوار حياتها في حالة الاسترقاق والعبودية ولذلك يقول المثل الصيني : الابنة تخضع لذويها والامرأة لبعلها والام لولدها

والصينيون يعتبرون المرأة احط منزلة من الرجل ويحسبون ولادتها شراً عليهم ووبالاً وتعد الابنة في نظرهم عبئاً ثقيلاً على اهلها لانها تستلزم الحجر عليها لحين زواجها وهي تعيش في بيت والديها بحالة التحجب والعزلة والتأمين حتى انها لتأكل على انفراد ومقامها عندهم مقام خادمة من حيث الحرمة والاعتبار

وينحصر تعليم الفتاة هناك بشغل الابرة واعداد الطعام فقط لان المرأة عندهم هي بمثابة ملك للاخ والاب والزوج وهم يزوجونها بدون مشاورتها لا بل يمنعونها من مشاهدة خطيبها ولا يخبرونها باسمه

اما الاغنياء فيحافظون على نسائهم محافظة شديدة ويحجرون عليهن في منازل خاصة بهن ولا يسمحون لهن بالخروج الا فيما ندر فيتزاورن ولا يخرجن الا في محامل مغلقة اغلاقاً محكماً وهم يغارون عليهن غيرة عظيمة

اما الفقراء فالامر عندهم بالعكس فان نساءهم يخرجن حاسرات الوجوه وهن يعملن جميع الاشغال الشاقة حتى ان الناظر الى احداهن وهي في سن العشرين يخالها عجوزاً لما يبدو عليها من آثار التعب والهزال والضنك الظاهر في كل عضو من اعضائها

ثم ان تعدد الزوجات امر شائع في الصين رغماً عن عدم اعتراف الشريعة به ومهما تكن نساء الرجل كثيرات فزوجته الشرعية واحدة وهي الاولى ولا تطلق الا لاسباب معقولة . اما باقي النساء فادنى منهن مرتبة ومقاماً وهن طوع بنان الرجل يفعل بهن ما شاء وشاءت اميالة لان الشريعة لا تنص شيئاً فيما يختص بهن

وعندهم ان الارملة يجب ان لا تتزوج مرة ثانية اذ يعدون ذلك عاراً

عظيماً يستوجب الاحتقار العام وتمنع شريعتهم نساء المرازبة المترملات من الزواج منعاً شرعياً فيجب ان يكتفين بالشرف الذي نلنه بمعيشتهن مع رجل حائز لعلامات الفخار

وتعقد الخطبة او الزيجة غالباً قبل ان يبلغ الخطيبان سن البلوغ تبعاً لمشيئة لوالدين لان طاعة الآباء مفروضة على الابناء ويعتبرون الاحتفال بوضع الخطبة زيجة نهائية مقدسة لا تقبل رداً او اعتراضاً حتى ان الخطيبة لا يمكنها ان تتزوج اذا اتفق ومات خطيبها اما الخطيب فبالعكس اذ يمكنه الزواج بعد وفاة خطيبته. وبعد وضع الخطبة يعينون وقت الزواج وربما يؤجلونه لسنين عديدة وفقاً لطوالع الخطيبين وتبعاً لنصوص التقويم الامبراطوري اذ فيه لكل اسبوع بل لكل يوم من ايام السنة اوقات سعد وشؤم

ولا تعطي الفتاة عندهم خطيبها مهراً بل يدفع اهل الخطيب لشرائها مقداراً من المال فضلا عما يقدمونه لها من الهدايا واذا لم يكن لابيها اولاد ذكور يرثونه فيتعهد بترك قسم من ثروته يقطعها عن بناته ويورثها لاصهاره لكي يقيموا على ضريحه الاحتفالات المعتادة لان المرأة في اعتبارهم ليست اهلاً لان تتولى هذا الامر

وتتم الخطبة عندهم بواسطة سمسارات خصوصيات فاذا عرضت الشروط وقبلها كلا الفريقين يتزاور الاهلون ويذهب اهل الشاب لمشاهدة الابنة اما هو فلا يراها قط الا ليلة الزواج بل يكتفي بوصف اهله لها

وتذهب العروس الى منزل العريس باحتفال شائق فيستقبلها على الباب وهي مترديةباثخر اللباس ومتحلية بالحجارة الكريمة ومزينة بالازهار الصناعية ومعطرة بالمسك والروائح الزكية ومحجبة بنقاب العرس . ومن العادة انها

ووالدتها تنتحبان وتبكيان وانها يجب عليها ان تخرج بالرغم عنها من بيت ابويها والا عد ذلك منافياً للحياء والذوق . ثم يصلي العروسان على مذبح الاجداد وبتمان فروض العبادة ويشربان الخمر المقدسة في كأس واحدة ويعقب ذلك وليمة عظيمة يأكل فيها كل من الرجال والنساء من اقارب العروسين على حدة . ولا ترفع العروس نقابها الا في غرفة الزواج

وقد خبط الاكثرون في وصف جمال المرأة الصينية والحقيقة ان لونها متوسط بين السمرة والبياض يشوبه قليل من الاصفرار ويدها صغيرة لطيفة وهي سوداء الشعر ظريفة هيفاء القامة رقيقة الخصر مرفوعة العينين من طرفيها وهو ما يكسب هيئتها منظراً يكاد يكون غريباً . الا ان الشيء الوحيد الذي يعيب المرأة الصينية هو تصغير قدميها وهذه العادة قديمة جداً عندهم وهي منتشرة في جنوبي البلاد اكثر مما هي في العاصمة والنواحي الشمالية . ومن العار عند فتاة صينية من عائلة معروفة ان تكون قدماها غير صغيرتين . وعندما تبلغ الابنة عندهم السادسة من العمر يشدون قدميها برباط مبلول بالزيت بعد ان يثنوا الابهام تحت الاصابع الاربع ويثنوا الاصابع الى ما تحت القدم ولا يزالون يضيقون الرباط كل شهر حتى لا تصل الفتاة الى سن البلوغ الا وكل قدم من قدميها مثل الكف المضمومة ولذلك تجد الامرأة عندهم مشقة عظيمة في المشي فلا يمكنها ان تسير الا قفزاً مادة يديها من الجانبين لحفظ الموازنة

وكثيراً ما عير الاوربيون سكان البلاد البحرية من الصينيين بهذه العادة القبيحة فيعيرهم هؤلاء بنسائهم اذ يشددن خصورهن ويضيقن عليهن بالمشد فيفحمونهم

هذا طرف من حال المرأة الصينية وما تمتاز به من ظلم الرجل وجوره وعادات بلاده التي سنها بنفسه . ولكن القارئ على غرابة هذه العادات لا يجد بينها وبين عادات بلادنا فرقاً يذكر ولا سيما في شأن الزواج والخطبة الذي يعد بجملته كانه احوال المرأة كلها ولذلك اذا كان الصيني يبدو لنا على ما ينافي المدنية والذوق فانما نحن مثله ولكننا لا ندري لان الانسان كثير الذهول عن حاله وحسبك دليلاً على ذلك قول الصينيين انفسهم في ردهم على الاوربيين من جهة المشد وصغر القدم فان رميهم ايانا برصمة تضييق الحصر وما ينتج عنه من العلل والالام الشديدة لاشد جداً من رمينا اياهم بتصغير الاقدام فان هذا مما ينافي ذوقنا فقط ولكنه لا ينافي الصحة ولا يجلب السقم

العيدان المباركان

اتفق في هذا الشهر عيدان جليلان مباركان وهما عيد الفطر المجيد وعيد الجلوس الخديوي السعيد فكانا عيدين شاملين للمصريين وسائر المسلمين . كما كانا عيدي الدنيا والدين . وقد تكلفت القريحة العاجزة فيهما هاتين التهنئتين لجلالة مولانا السلطان عبد الحميد الاعظم بعيد الفطر الكريم ولسمو خديوينا العباس المعظم بعيد جلوسه المظيم اما الاولى فهي

بك يحلو مع صومه رمضانُ ... ويتم الثواب والغفرانُ
وبايامك السعيدة يستلطف ... دهر ويستحب زمان
تتلقى الاعياد منك وفيها ... تلتقي المكرمات والاحسان

تتوالى يزيد فيها على ما ... مرَّ منها عدالة وامان
ذاك فضل قضى به جدك الطا ... لع مما قضى به الرحمن
وعلاء تقود فيه الرعايا ... والعطايا زمامها والعنان
بك اضحى الفطر المبارك ميموناً ... وجلّ الاسلام والايمان
وتجلى من آل عثمان آل المجد ... ما كان خطه عثمان
دولة تنحني لهامتها الهام ... وتعنو لتاجها التيجان
وتُردُّ الرماح مكسورة ان ... لاح منها القضيب والصولجان
ينقضي عامنا لديها ولكن ... كل ايامنا به نيسان
تتبدى عن رونق الثمر اليا ... نع قد اثقلت به الاغصان
بمساعي عبد الحميد لقد ذلّ ... بها شانىء كما عزّ شان
واياديه قد تأيد منها ... كل امر واشتدت الاركان
دام يزهو بعيشه كل عيد ... والقوافي بمدحه تزدان

واما الثانية فهي

بايامك العيش يستعذبُ ... وفي عيدك السعد يستقربُ
وما دمت فينا فعيد الجلوس ... مقيم فكيف له نرقب
نرى عامنا بك روضاً نضيراً ... به عيدك الثمر الطيب
يُفتّح عن مثل هذا المديح ... متى جاده مجدك الصيّب
وعطفك اذ انت غضُّ الصبى ... كما يعطف الوالد الاشيب
وعدلك اذ انت مستحكم ... وعفوك اذ يذنب المذنب
غدا قطرنا بك اشهى لنا ... من القطر قابله المجدب